حكمة الشعراء

روى ياقوت الحموي فقال: بلغني أن رجلاً جاء الشافعي برقعة فيها:

سل المفتي المكي من آل هاشم إذا اشتد وجد بالفتى ماذا يصنع؟

فكتب الشافعي تحته:

يداوي هواه ثم يكتم وجده ويصبر في كل الأمور ويخضع

فأخذها صاحبها ثم ذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت بيته هذا البيت:

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى وفي كل يوم غصة يتجرع

فكتب الشافعي:

فإن هو لم يصبر على ما أصابه فليس له شيء سوى الموت أنفع

قال الإمام الشافعي:

إن النساء شياطين خُلقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين

فسمعته امرأة وردت عليه قائلة:

إن النساء رياحين خُلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين

obeikandl.com

التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجرير:

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنىً فَخَاراً فخبِّرْنِي بمن أنت فاخرُ؟

فقال له جرير: بلبيك اللهم لبيك ..

قال إسحاق: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه.

زار أحدهم شاعراً ولم يكن يدري أنه شاعر وقدّم إليه هدية، وكان يريد بها الإساءة إليه، وهذه الهدية هي زوج من الأحذية فقبلها الشاعر وأنشد بعدها:

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته لكنت أستاهل الدنيا وما فيها

لكنني قبلت النعل معترفا أن الهدايا على مقدار مهديها

دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع وجه البخيل وظهر عليه القلق والاضطراب وظن أن الشاعر سيأكل من طعامه في ذلك اليوم وإلا فإنه سيهجوه، غير إن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل فترفق بحاله ولم يطعم من طعامه .. ومضى عنه وهو يقول:

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت في عرض المقال

عليّ اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

طلب الشاعر ابن الرومي من صديق له أن يهديه ثوباً، فوعده به، ولكنه أبطأ في إنجاز وعده فقال يعاتبه:

جُعلتُ فداك، لم أسألكَ ذاك الثوب للكفن
سألتكَهُ لألبسه وروحي بعد في البدن

وقابل أحد الأدباء إمام عبد –وكان أسود اللون – صديقاً له يدعى محمود، وكان يمزح مع الإمام ويغالي في ذلك، فسأله هذا: ما قولك يا إمام في قصيدة المتنبي التي مطلعها: عيد بأي حال عدت يا عيد. أليست من أحسن القصائد وأصدقها؟ وقد أراد أن يشير إلى قول المتنبي:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ففطن لذلك الإمام، وكان سريع الخاطر، فأجابه:

إنها من أجمل القصائد لاسيما قوله:

ما كنت أحسبني أبقى إلى زمن يسيء لي فيه كلب وهو محمود

كان عروة بن أذينة شاعراً في المدينة وضاقت به الحال، فتذكر صداقته مع هشام بن عبد الملك أيام أن كان أمير المدينة قبل أن يصبح الخليفة. فذهب إلى الشام ليعرض تأزم حالته عليه لعله يجد فرجاً لكربه. ولما وصل إليه استأذن على هشام ودخل. فسأله هشام: كيف حالك يا عروة؟. فرد: والله إن الحال قد ضاقت بي.. فقال له: هشام ألست أنت القائل:

لقد علمت وما الإشراق من خلقي إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

obeikandi.com

واستطرد هشام متسائلا: فما الذي جعلك تأتي إلى الشام وتطلب مني..

فأحرج عروة الذي قال لهشام: جزاك الله عني خيرا يا أمير المؤمنين..

لقد ذكَّرت مني ناسياً، ونبهت مني غافلاً.. ثم خرج..

وبعدها غضب هشام من نفسه؛ لأنه رد عروة مكسور الخاطر..

وطلب القائم على خزائن بيت المال وأعد لعروة هدية كبيرة وحملوها على الجمال.. وقام بها حراسه ليلحقوا بعروة في الطريق.. وكلما وصلوا إلى مرحلة يقال لهم: كان هنا ومضى. وتكرر ذلك مع كل المراحل إلى أن وصل الحراس إلى المدينة..

فطرق قائد الركب الباب وفتح له عروة وقال له:

أنا رسول أمير المؤمنين هشام فرد عروة: وماذا أفعل لرسول أمير المؤمنين وقد ردني وفعل بي ما قد عرفتم؟..

فقال قائد الحراس: تمهل يا أخي.. إن أمير المؤمنين أراد أن يتحفك بهدايا ثمينة، وخاف أن تخرج وحدك بها.. فتطاردك اللصوص، فتركك تعود إلى المدينة وأرسل إليك الهدايا معنا..

فردّ عروة: سوف أقبلها ولكن قل لأمير المؤمنين لقد قلت بيتاً ونسيت الآخر..

فسأله قائد الحراس: ما هو؟.. فقال عروة:

أسعى له فيعييني تطلبه ولو قعدت أتاني يعينني

يروى أن شاعراً كانت له ابنتان على قدر من الذكاء والفطنة، وحدث أن لقي الشاعر عدواً كان يطلبه فعرف أنه مقتول لا محالة، فرجى عدوه بعد أن يقتله أن يذهب إلى منزله، الذي وصفه له، فيلقي على ابنتيه شطر بيت من الشعر، وهو:

ألا أيها البنتان إن أباكما

فوعده الرجل أن يفعل ذلك، وبالفعل بعد أن قتله ذهب إلى منزله وطرق الباب فلما ردت عليه إحدى البنيتن من داخل البيت، قال:

ألا أيها البنتان إن أباكما

فردت البنتان في صوت واحد

قتيلٌ خذا بالثار ممن أتاكما

ثم صاحتا حتى التمّ الناس فطلبت البنتان منهم أن يقبضوا على الرجل ويرفعوه إلى القضاء، حيث أقرّ بقتل الشاعر ونفذ فيه القصاص.

استدعى أحد الولاة طائفة من العلماء والشعراء في يوم عيد لزيارته، فصادفهم أعرابي يحمل على كتفه جرة ليملأها من الماء، فتبعهم حتى مثلوا بين يدي الوالي فبالغَ في تكريمهم ثم نظر إلى الأعرابي والجرة فقال: ما حاجتك؟ فأنشد الأعرابي قائلاً:

ولما رأيتُ القومَ شدوا رحالهم إلى بحرك الطامي أتيتُ بجرتي

فقال الوالي لأعوانه املؤوا جرته ذهباً. فخرج من عنده وفرق

الذهب على الفقراء فلما بلغ الوالي ما فعله الأعرابي استدعاه وعاتبه على فعله فأنشده الأعرابي قائلاً:

يجود علينا الخيِّرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجودُ

فأُعجِب الوالي بجوابه وأمر أن تُملأ الجرة عشر مرات. فقال الأعرابي: الحمد لله أن الحسنة بعشر أمثالها.

كان يطيب للشاعر حافظ إبراهيم، شاعر النيل، أن يداعب أحمد شوقي أمير الشعراء، وكان أحمد شوقي جارحاً في رده على الدعابة، ففي إحدى ليالي السمر أنشد حافظ إبراهيم هذا البيت ليستحث شوقي على الخروج عن رزانته المعهودة.

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي أصبح اليوم باردا

فرد أحمد شوقي:

أودعت إنسانا وكلبا وديعة فضيعها الإنسان والكلب حافظ

ونبغت في الأندلس شاعرة غرناطية هي (نزهون) من أَرَقِّ الشاعرات طبعاً، وأكثرهن سرعة بديهة. كان لها مجلس أدبي في غرناطة يؤمه الشاعر (أبو بكر المخزومي) الأعمى، فقدم إلى بيتها أحد الظرفاء من أصدقائها وخاطب المخزومي قائلاً:

لَوْ كُنْتَ تَعرِفُ مَنْ تخاطِبُهُ

ولم يتمكن من ارتجال الشطر الثاني فانبرت نزهون وأكملته منشدةً:

لغَدَوْتَ أَخْرَسَ من خلاخله

الـبـدرُ يَـطْـلُـعُ مـن أَزِرَّتِـــهِ
والـغُـصْـنُ يَـمْـرَحُ في غلائـلـهِ!

ويحكى أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كان حريصاً جداً على أموال الدولة، وكان من عادة الخلفاء أن يعطوا الهدايا للشعراء ويغدقوا عليهم الأموال، فلجأ أبو جعفر إلى حيلة حتى لا يعطي الشعراء الأموال، فأصدر بياناً بأن من يأتي بقصيدة من بنات أفكاره فسيأخذ وزن ما كتب عليها ذهباً، فتسارع الشعراء إلى قصر الخليفة ليسردوا شعرهم، ولكن المفاجأة الكبرى أنه عندما كان يدخل الشاعر ليقول قصيدته وينتهي منها، يقول له الخليفة هذه القصيدة ليست من بنات أفكارك لقد سمعتها من قبل ويعيدها عليه فيندهش الشاعر، ثم ينادي الخليفة على أحد غلمانه فيقول له: هل تعرف قصيدة كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيعيدها عليهم الغلام ثم ينادي الخليفة لجارية عنده: هل تعرفين قصيدة كذا وكذا؟ فتقول: نعم وتسردها عليهم، فيقف الشاعر ويكاد يطير عقله من هذا، فلقد سهر طوال الليل يؤلف هذه القصيدة ثم يأتي الصباح يجد ثلاثة يحفظونها.

فما هي الحيلة التي كان يفعلها الخليفة كان أبو جعفر المنصور يحفظ الكلام من مرة واحدة، وكان عنده غلام يحفظ الكلام من مرتين، وجارية تحفظ الكلام من ثلاث، فإذا قال الشاعر قصيدته حفظها الخليفة فأعادها عليه ويكون الغلام خلف

ستار يسمع القصيدة مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيحفظها، وهكذا كانت الجارية تقف خلف ستار تسمع القصيدة من الشاعر ثم الخليفة ثم الغلام فتحفظها.

فاجتمع الشعراء في منتداهم مغمومين لما يحدث ولا يدرون كيف أن القصائد التي يسهرون ليألفوها تأتي في الصباح يحفظها الخليفة والغلام والجارية، فمرَّ عليهم الشاعر وعالم اللغة الأصمعي، فرأى حالهم، فقال لهم: ما بكم؟ فقصوا عليه قصتهم، فقال إن هناك في الأمر لحيلة، فعزم على أن يفعل شيئاً فذهب إلى بيته ثم جاء في الصباح إلى قصر الخليفة وهو يرتدي ملابس الأعراب «البدو»، فاستأذن ليدخل على الخليفة فدخل، قال للخليفة لقد سمعت أنك تعطي على الشعر وزن ما كتبت عليه ذهباً، قال له الخليفة هات ما عندك، فسرد عليه الأصمعي القصيدة التالية:

صَوتُ صفيرِ البُلبُلِ هَيّجَ قلبي الثَّمِلِ
الماءُ والزّهرُ معاً مَعْ زَهرِ لَحْظِ المُقَلِ
وأنتَ يا سيّدَلي وسيّدي ومَوْلَى لِي
فَكَمْ فَكمْ تَيَمُني غُزَيّلٌ عَقَيْقَلي
قَطّفتَهُ مِنْ وَجْنَةٍ مِنْ لَثْمِ وَرْدِ الخَجَلِ
فقالَ لا لا لا لا فَقَدْ غَدا مُهَرْوِلِ
والخُود مالَت طرباً مِنْ فِعْلِ هذا الرَجُلِ
فَوَلْوَلَتْ وَوَلْوَلَتْ وَلي وَلي ياوَيْلَلي

فَقُلتُ لا تُوَلْوِلي وبَيِّني اللُؤْلُؤَ لي
قالتْ لَهُ حينَ كذا انهَضْ وجِد بالنُقلي
وَفِتْيَة سَقَوْنَني قَهْوَةً كَالعَسَل لي
شَمَمْتُـها بِأَنفي أزْكى مِنَ القُرَنْفُلِ
فِي وَسْطِ بُسْتانٍ حُلي بالزّهْرِ والسُرُورُ لي
والعُودُ دَنْدَنْ دَنَا لي والطّبْلُ طَبْطَبْ طَبَ لي
طَبْ طَبِطَبْ طَبْ طَبِطَبْ طَبْ طَبِطَبْ طَبْطَبَ لي
والسّقْفُ سَقْ سَقْ سَقَ لي والرّقْصُ قَدْ طابَ لي
شَوى شَوى وشاهِشُ على وَرَقْ سِفَرجَلي
وغَرَدَ القِمْرِ يَصيحُ مَلَلٍ فِي مَلَلِ
وَلَوْ تَراني راكِباً على حمارٍ أهْزَلِ
يَمْشي على ثلاثَة كَمَشْيَةِ العَرَنجِلِ
والناسْ تَرْجِمْ جَمَلي فِي السُوقْ بالقُلْقُلَلِ
والكُلُ كَعْكَعْ كَعِكَعْ خَلْفي وَمِنْ حُوَيْلَلي
لكِنْ مَشَيتُ هارِباً مِن خَشْيَةِ العَقَنْقِلي
إلى لِقاءِ مَلِكٍ مُعَظّمٍ مُبَجّلِ
يَأمُرُني بِخَلْعَةٍ حَمراءْ كالدّمْ دَمَلي
أَجُرُ فيها ماشِياً مُبَغْدِداً للذّيَلِ
أنا الأديبُ الألْمَعي مِنْ حَيِّ أرْضِ المُوصِلِ
نَظِمْتُ قِطْعاً زُخْرِفَتْ يَعْجزُ عَنْها الأدْمُلِ
أقُولُ فِي مَطْلَعِها صَوْتُ صَفيرِ البُلْبُلِ

فحاول الخليفة إن يعيدها فلم يستطع فنادى على الغلام: هل تعرف هذه القصيدة؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، فنادى على الجارية: هل تعرفين هذه القصيدة؟ فقالت لا والله يا أمير المؤمنين، فقال الخليفة هات ما كتبتها عليه نعطيك وزنه ذهباً.

أبو العلاء المعري فيلسوف الشعراء ورهين المحبسين ومن أفضل شعراء عصره .. وقد كان مولعاً بشعر المتنبي حتى إنه ذاد عنه ذات مرة أمام أحد الذين نالوا من المتنبي فقال أبو العلاء:
لو لم يكن من قصائد المتنبي سوى (لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ) لكفته.
فأمر ذلك الرجل بطرد المعري وفهم إلى ماذا كان يرمي المعري..
فقد قصد قول المتنبي في تلك القصيدة الذي يقول فيه:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فتعجّب الحضور من ذكاء المعري وسرعة بديهة ذلك الرجل.

حكى الأصمعي فقال: ضلت لي إبل فخرجت في طلبها، وكان البرد شديداً فالتجأت إلى حي من أحياء العرب، وإذ بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب إن البرد أصبح كالحا وأنت بحالي يا إلهي عليم
فإن كنت يوما في جهنم مدخلي ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فتعجبت من فصاحته وقلت له: يا شيخ ما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير؟!، فأنشد يقول:

أيطمع ربي أن أصلي عاريا ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فو الله ما صليت ما عشت عاريا عِشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح إلا يوم شمس دفيئة وإن غيمت للظهر والعصر
وإن يكسني ربي قميصا وجبة أصلي له مهما أعيش من العمر

فأعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصاً وجبة كانتا علي ودفعتهما إليه وقلت له:

البسهما وقم فصل، فاستقبل القبلة وصلى جالساً وجعل يقول:

على إليك اعتذاري من صلاتي جالسا
على غير طهر مومياً نحو قبلتي
فمالي ببرد الماء يارب طاقة
ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني استغفر الله شاتيا
واقضيهما يا رب في وجه صيفتي
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم
بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

فعجبت منه وانصرفت.

الأمير والشاعر معن بن زائدة اشتهر بحلمه وحكمته

ولما تولّى الإمارة دخل عليه أعرابي بلا استئذان من بين الذين قدموا لتهنئته وقال بين يدي معن:

أتذكر إذ لحافك جلد شاةٍ وإذ نعلاك من جلد البعيرِ

فأجاب معن: نعم أذكر ذلك ولا أنساه ... فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك مُلكاً وعلّمك الجلوس على السريرِ

قال معن: سبحانه على كل حال وذاك بحمد الله لا بحمدك فقال الأعرابي:

فلستُ مُسَلّماً إن عِشتُ دهراً على معنٍ بتسليم الأميرِ

قال: السلام سنة تأتي بها كيف شئت فقال:

أميرٌ يأكلُ الفولاذ سِرّاً ويُطعم ضيفه خبز الشعيرِ

قال: الزاد زادنا نأكل ما نشاء ونُطعم من نشاء .. فقال الأعرابي:

سأرحلُ عن بلادٍ أنتَ فيها ولو جارَ الزمانُ على الفقيرِ

قال معن: إن جاورتنا فمرحباً بك وإن رحلت عنّا فمصحوب بالسلامة قال:

فجد لي يا ابن ناقصة بشيءٍ فإني قد عزمتُ على المسيرِ

قال: أعطوه ألفَ درهم فقال:

قليل ما أتيت به وإني لأطمع منك بالمال الكثيرِ

قال: أعطوه ألفاً آخر.

فأخذ الأعرابي يمدحه بأربعة أبيات بعد ذلك وفي كل بيت مدح يقوله يعطيه من حوالي الأمير معن ألفاً من عندهم، فلما انتهى تقدم الأعرابي يقبل رأس معن بن زائدة وقال: ما جئتك والله إلا مختبراً حلمك لما اشتهر عنك، فألفيت فيك من الحلم ما لو

قسّم على أهل الأرض لكفاهم جميعاً فقال:

سألت الله أن يبقيك ذخراً فما لك في البرية من نظيرِ

قال معن: أعطيناه على هجونا ألفين فأعطوه على مديحنا أربعة.

أعد الخليفة هارون الرشيد مفاجأة للشاعر أبي نواس، فقد اتفق مع جلسائه قبل حضور أبي نواس اتفاقاً سرياً حتى يرى تصرف أبي نواس.

أعطى الرشيد لكل واحد من جلسائه بيضة، وقال لهم: إذا حضر أبو نواس، فسأظهر غضبي الشديد عليكم، ثم أطلب منكم أن تصيروا دجاجاً، وأن تبيض كل دجاجة بيضة، ثم لننظر: ماذا يفعل أبو نواس؟

حضر أبو نواس ثم سلم على الخليفة والحضور وجلس، وشرع الخليفة وجلساؤه في تنفيذ الاتفاق، أظهر هارون الرشيد بعض الضيق على وجهه؛ فسأله الحاضرون: «ماذا بك يا خليفة المسلمين؟».

فأجابهم قائلاً: «لقد حدث أمر عجيب في بغداد لقد اختفى البيض تماما من كل بيوتها ولا أدري السبب في ذلك، وقد أوصى الطبيب بضرورة وجود البيض على مائدة طعامي دائماً. «قال أحدهم: «نحن طوع أمرك حتى لو أمرتنا بأن نصير دجاجاً، تبيض كل منها بيضة لك. تظاهر هارون الرشيد بالدهشة قائلاً: حسناً عليكم، أحقاً ما تقولون؟ ثم أكمل قائلاً:

حسناً عليكم الآن أن تصيروا دجاجاً، ويعطيني كل منكم بيضة ليدلل على مدى حبه لي. وجم أبو نواس، ولم يعرف كيف يتصرف؛ إذ سرعان ما وجد كل واحد من الجالسين قد أخرج بيضة من الموضع الذي كان يجلس فيه وقدّمها إلى الخليفة، وهنا أسرع أبو نواس وصاح صياح الديك فقال له الخليفة: «ماذا تفعل يا أبا نواس؟ ردّ أبو نواس قائلاً: مولاي هؤلاء دجاجك، وأنا ديكهم «فضحك الخليفة والحضور، ودهشوا من حسن تصرفه وسرعة بديهته».

ومن الطرائف الرائعة أيضاً: مرض أمير قوم يوماً فنذرو جميع القوم أن يصوموا في يوم برئه. فلما شُفي هذا الأمير دعا جميع القوم الذين نذروا للصوم إلا رجلاً واحدا فعاتبه وسأله عن السبب وكان الثاني شاعراً فقال له بيتاً من الشعر عن سبب فطره وأنه لم ينذر مثلهم للصوم قائلا:

نذر الناس يوم برئك صوما غير أنى نذرت وحدي فطرا
جازم أن يوم برئك عيدا لم يجز صومه وان كان نذرا

فعفا عنه وأدخله.

ويذكر أحدهم في هذا الزمان يقول: خرجت مرة مع أصحاب لي إلى البر للسمر في ليالي القمر البيضاء، فلما صنعنا الطعام وقبل أن يوضع بادر إليه بعض الإخوة وأكل منه قبل إنزاله، وكان رجلاً

ظريفاً وشاعراً أديباً، فقلت له ممازحاً: إنك قد اعتديت على الطعام قبل أن يوضع وأكلت منه قبلنا فعقوبة لك لا تأكل إلا بعد أن نبتدئ بعشر دقائق، فأجابني على البديهة بقول أبي العلاء:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

مدح الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أحد الأمراء العباسيين بقصيدة قال في بيت منها:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

يعني أن هذا الأمير شجاع مثل عمرو بن معد كرب الزبيدي وسمح وكريم مثل حاتم الطائي، وحليم مثل الأحنف بن قيس، وذكي مثل القاضي إياس بن معاوية.

وكان عند هذا الأمير الفيلسوف الكندي رجل خبيث ويكره أبا تمام، فقال: ما زدت أن شبهت الأمير بأجلاف العرب. للأمير خير ممن ذكرت، فأطرق أبو تمام قليلاً ثم قال مرتجلاً:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

أي أنا عندما شبهت الأمير بمن هم أقل منه فالله شبه نوره وهو عظيم بالمشكاة وهي الفتحة الصغيرة التي يوضع فيها المصباح الصغير، فأخرس أبو تمام الكندي، فلله دره من شاعر.

obeikandl.com